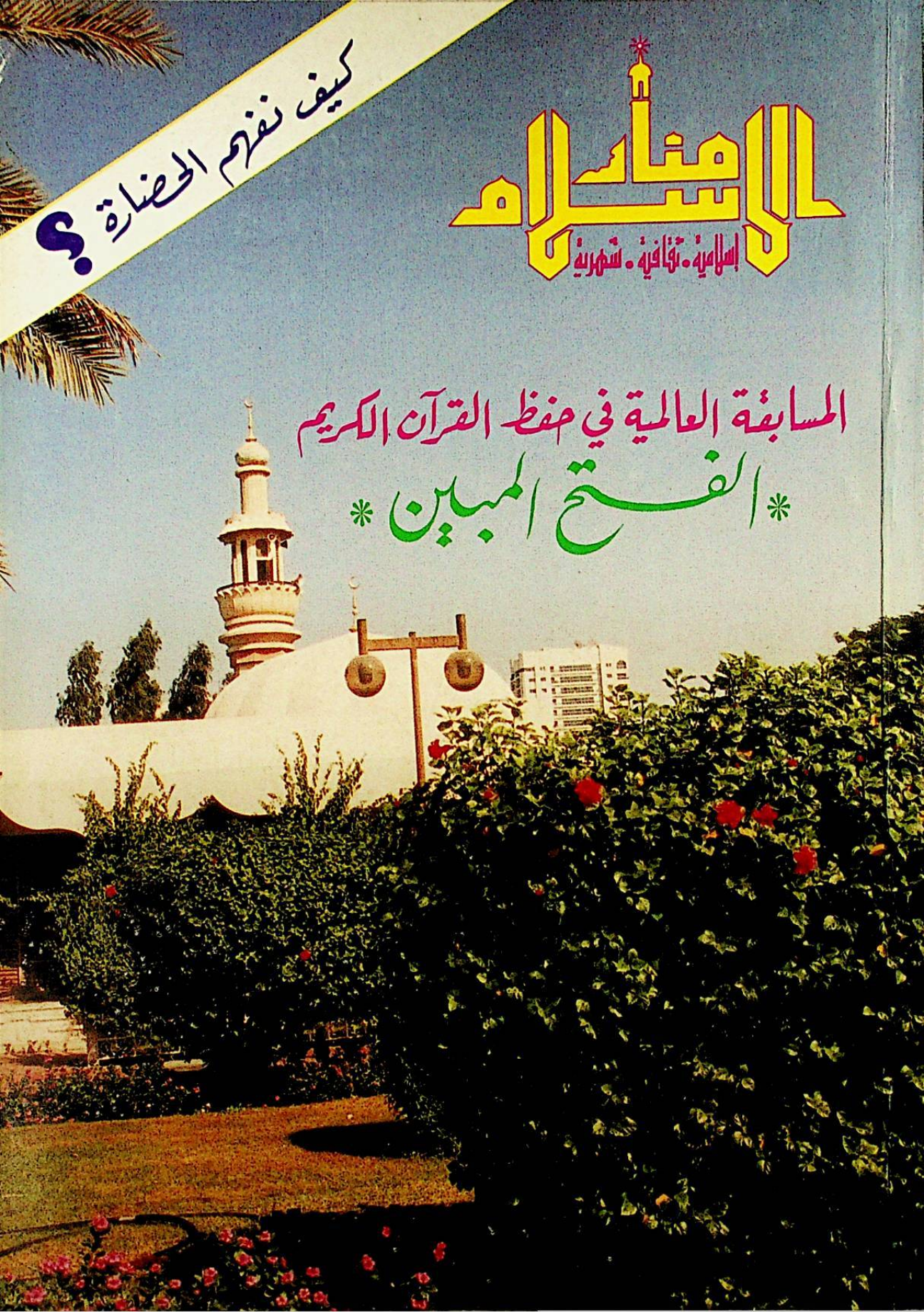
منار الإسلام
إسلامية . ثقافية . شهرية
كيف نفهم الحضارة ؟
المسابقة العالمية في حفظ القرآن الكريم
* الفتح المبين *

المسلمون في جمهوريات

للأستاذ
السيد علي أحمد علي

□ لعل المطالع لوسائل الإعلام والمتتبع لِمَا تبثه وكالات الأنباء يجد الكثير من الحديث عن المسلمين في الاتحاد السوفييتي سابقاً بل يجد الكثير من الاهتمام بشرح أحوالهم. والالتقاء بقيادات المسلمين في الجمهوريات الإسلامية للوقوف على أخبار المسلمين في تلك المناطق. وهذا الاهتمام لم يأت من لا شيء بل جاء نتيجة للتغيرات التي حدثت وتحدث في الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي سابقاً.

وبدأ العالم الإسلامي يستيقظ على حقيقة جديدة من حقائق عالمنا المعاصر. وهي أن الدول والجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي سابقاً. بدأت تخرج من إطار الاتحاد وبدأت تظهر لها شخصيتها المستقلة.

إن قضية الجمهوريات الإسلامية المستقلة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي في آسيا الوسطى (أذربيجان - أوزبكستان - كازخستان - قيرغيزيا - تركمانستان - طاجيكستان) تعتبر من أهم القضايا المطروحة على جدول أعمال العالم الإسلامي في المرحلة الحالية.

إن قضية الإسلام في جمهوريات آسيا الوسطى منذ القرن الأول الهجري وتستمر حتى يومنا هذا. اتحدت مجهودات العرب والإيرانيين والأتراك الشرقيين والعثمانيين، والقوقازيين لزرع الإسلام بطرق شتى في تلك الأراضي الشاسعة التي تمتد من القوقاز حتى حدود الصين ومن قازان حتى الحدود الإيرانية والأفغانية.

وقد انتشر الإسلام عن طريق الفتوحات والعمل الدبلوماسي لخلفاء الدولة العباسية والدولة العثمانية. وبفضل نشاط التجار المسلمين..

ان الوثائق الروسية القديمة والتي يحتفظ بها بأساليب علمية حديثة تحت إشراف علماء من شباب المسلمين السوفييت. تَرى تلك الوثائق وصول ستة من الدعاة المسلمين العرب هبطوا إحدى القرى الواقعة على ضفاف نهر الفولجا. وكانت قبائل البولجار. وهي قبائل تعيش على الزراعة وصيد الأسماك تسكن هذه القرى. فاستضافت الدعاة الستة وأخذوا يتعلمون نطق الشهادتين باللغة العربية.

وتشير الوثائق التاريخية إلى أن هؤلاء

الإتحاد السوفييتي السابق

الدعاة الستة غادروا بغداد برئاسة الإمام «أحمد بن فضلان» في رحلة إلى شمال الكرة الأرضية لنشر رسالة الإسلام والدعوة الإسلامية. ويُقال أن السلطان «ألماظ خان» وصف الدعاة القادمين من بغداد بأنهم يحملون كثيراً من الفضائل التي يتضمنها الإسلام وأن دعوتهم تحض على العدل والمحبة وإعلاء كلمة الحق والصدق».

وكانت إحدى طرق دخول الإسلام ونشره في تلك المناطق الطرق الصوفية والتي تحولت إلى حركة شعبية حتى أصبحت آسيا الوسطى إحدى المناطق الأكثر فاعلية في انتشار التصوف.

كانت سنة ٨٦هـ (٧٠٥) هي السنة التي نشطت فيها الفتوحات الإسلامية في المغرب والمشرق. وكانت هذه السنة بداية نشاط مكثف للفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر. وقد استعاد العرب فيها منطقة طخارستان السفلى كما استولوا على طالقان وبلخ..

وفيما بين سنتي (٩٠ - ٩٣هـ) استطاع قتيبة بن مسلم أن يقتحم إقليم بخارى وفيما بين سنتي (٩١ - ٩٧هـ) امتد النفوذ الإسلامي إلى وادي جيحون وبلاد الصغد واتجهت الحملات لإخضاع المقاطعات الواقعة على نهر سيحون وإلى المناطق النائية في إقليم فرغانة وبيكند وخوارزم وأرمينيه.

بل إن قتيبة أوغل في فتوحاته حتى وصل إلى كاشغر مقترباً من حدود الصين..

وخلال بقية العصر الأموي وحتى عام ١٣٢هـ كان جهود الأمويين منصرفة إلى تثبيت السيادة الإسلامية والعربية والتمكين للنفوذ الإسلامي في تلك المناطق.

ومع ظهور العباسيين على مسرح الأحداث توطدت الأمور في هذه البلاد نتيجة الميل إلى الدغوة بالطرق السلمية والتمكين للنظم الإدارية في هذه البلاد واستخدام العناصر التركية في الجيش العباسي.. لدرجة أننا عندما وصلنا إلى عصر المعتصم كان الإسلام قد رسخت أقدامه وبدأ الأتراك أنفسهم يتبنون حركة نشر الإسلام في بلادهم.

أما في العصر العثماني فقد حاول العثمانيون قدر جهدهم المحافظة على الإسلام في تلك المناطق محاولين المحافظة على سيادة الإسلام وسيطرة نظمه. وفي نهايات العصر العثماني بدأت الجموريات تقع في قبضة السيطرة الفعلية للقياصرة.

حكاية المسلمين السوفييت

وحكاية المسلمين السوفييت طويلة تبدأ يوم حطم قياصرة آل رومانوف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الدول والإمارات والخانات الإسلامية وأصبح الإسلام بعدها أقلية في روسيا.

ومن وقتها والإسلام يتعرض للاضطهاد

واضطهاد القياصرة الروس لقد كانت روسيا قبل النظام الشيوعي وبعده دولة عدوانية وقد تركز زحفها على جيرانها. وخاصة ابتداءً من القرن التاسع عشر. ففي عهد القاجاريين ضمت روسيا منطقة جورجيا سنة ١٨٠١ واعترفت بذلك معاهدة كلستان التي عقدت بين إيران وروسيا عام ١٨١٢ وفي الحرب التي وقعت بين إيران وروسيا سنة ١٨٢٦ انتصرت روسيا وضمت إليها مناطق تركستان التي لم تكن قد ضمتها من قبل. كما ضمت لها سنة ١٨٦٤ منطقة الشركس والقوقاز التي تمتد من البحر الأسود إلى قزوين. بل ضمت كل المناطق التي تقع بين منغوليا وقزوين وكانت هذه المناطق كلها إسلامية قبل استيلاء الروس عليها.

ويلاحظ أن الزحف الروسي اتجه للبلاد المجاورة. ومن هنا كان قليل التكاليف وليس إلا عبرا للحدود وسيطرة على أرض الجيران. وعلى مقاديرهم. وذلك بخلاف الزحف الأوروبي الذي استلزم رحلات بعيدة المدى. وتكاليف باهظة وحمل معه بذور فشله فالزحف الروسي سرعان ما يدّعي أن الأرض التي احتلها ليست إلا جزءاً من دولتهم الكبرى أما الزحف الغربي فلم يستطع أن يقدم هذا الادعاء على الأرض التي احتلها وراء البحار.

وسلك الروس في سياستهم تجاه المناطق المحكومة ما يسمى الترويس أي القضاء على القومية الاقليمية لغة وشريعة. وجعل هذه المناطق جزءاً من روسيا.

إن محاولات الإسلام لم تنقطع يوماً في تحقيق الاستقلال. ولم تتوقف ضده الحملات أيضاً. لقد نشأ بعد قيام الاتحاد السوفييتي موقف دقيق ومعقد. وانعزل الإسلام السوفييتي وانعزل المسلمون في تلك المناطق عن عالم الإسلام الفسيح المترامي وتعرضت المناطق الروسية الإسلامية إلى هجرات روسية مكثفة وهذه المناطق تشهد الآن هجرة روسية معاكسة.

لقد طبق الاتحاد السوفييتي سياسته الخاصة بالمسألة القومية والشعوب المختلفة والتي يعاني اليوم من ردود فعلها. وهي تقوم على الاعتراف بالقوميات والشعوب المختلفة وتقوم الوحدات السياسية على هذا الأساس لا على أساس التاريخ والجغرافيا أو الاقتصاد.

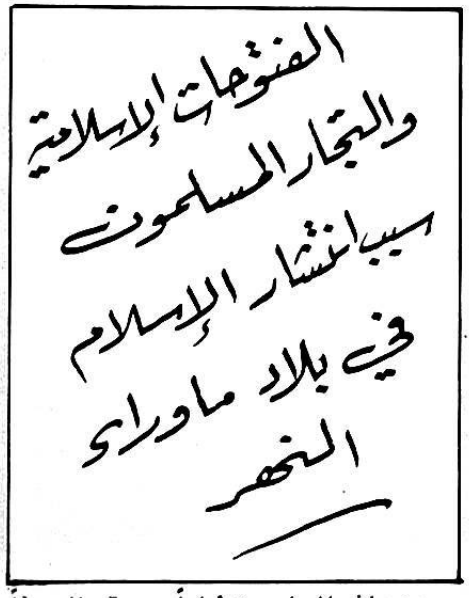

وعاش المسلمون أياماً صعبة وظروفاً قاسية. ولم تستطع الماركسية أن تتجاوز الصراع التاريخي الذي كان قائماً بين التتار والروس. بعد أن حكم التتار الروس مدة ثلاثة قرون ودار الزمان دورته وأصبحوا محكومين خاضعين واختفت أُمة لعبت دوراً هاماً في تاريخ الشرق على مدى خمسة قرون.

فهذه الصدامات العرقية هي إحدى نتائج معالجة المسالة القومية على الطريقة السوفييتية والتي تقوم على دعم القومية الأضعف وإضعاف القومية الأقوى وهو ما أشعل القتال بين الأذر والأرمن.

«مسلمو الاتحاد السوفييتي في عهدي القياصرة والشيوعيين»

في عهد القيصرة حنه (١٧٣٨م - ١٧٥٥م) أقفلت جميع المساجد في بلاد التتار وفي حوض نهر الفولجا الأوسط. وأُلغيت الصبغة الدينية من الأوقاف المخصصة للتعليم والإحسان. ونقلت ملكيتها إلى الدولة وطُرد المسلمون من قراهم وفرضت الضرائب الباهظة عليهم وصدر أمر يقضي بالموت على كل من يمارس دعوة دينية وأعلن عن إعفاء التتار الذين يقبلون النصرانية من الضرائب ومن الخدمة العسكرية الإلزامية. وفي سنة ١٩٠٥م عندما صدر مرسوم قيصري بالحرية الدينية لمسلمي روسيا القيصرية أعلن جميع المسلمين المنصّرين بالضغط الشديد والإكراه عودتهم إلى الإسلام وتمسكهم به. واتضح في هذه الفترة أن تنصّر المسلمين لم يكن إلا تظاهراً وإن النشاط الإسلامي لم يخب بالاضطهاد. وإنما عمل المسلمون على نشر دينهم الإسلامي خفية بين القبائل والمسيحية أيضاً.

وبينما كان الروس يظنون أن الإسلام قد انتهى وأن أمره إلى زوال ظهر أن الإسلام قد انتشر بين قبائل جديدة مثل الفوتياك والشيرليس وأن عددهم بلغ من الكثرة ٥٣ ألف شخص بين سنتي ١٩٠٦ - ١٩١٠م بالرغم من القوانين التي تحرم التحول إلى أي دين من الأديان عدا مذاهب الكنيسة الارثوذكسية.

وبعد انتهاء فترة استرداد الأنفاس للمسلمين والنشاط الإسلامي فيما بين ١٩٠٥م - ١٩٢٥م. عاد الاضطهاد الديني والقسوة الوحشية من جديد على يد الشيوعيين وشنت ا لسلطات الشيوعية حملات واسعة ضد الإسلام وفي عام ١٩٢٤م قام الشيوعيون بإلغاء المحاكم الشرعية والأحكام الشخصية الإسلامية ثم قامت الحكومة الشيوعية الجديدة بإغلاق ٢٦ ألف مدرسة و٢١ ألف مسجد وجامع لمسلمي الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٨م وفي عام ١٩٣٠م صادرت بقية الأوقاف الإسلامية التي كانت تؤمن باستمرار بعض النشاط الإسلامي والاجتماعي للمسلمين.

ثم بدأ الشيوعيون في عام ١٩٣٢م بحركة شاملة لتصفية علماء الإسلام ورجال الدين قدر عددهم بحوالي ٤٥ ألف شخص في عام ١٩٣٢م بتهمة الرجعية. ثم قام الملحدون بنشر الدعايات الإلحادية والتعاليم الماركسية بين المسلمين ومراقبة تصرفاتهم وسلوكهم ومعاقبتهم بالقتل والسجن لكل من يؤدي صلاة أو يقرأ القرآن الكريم وغير ذلك.

أما أثناء الحرب العالمية فقد حاول السوفييت التخفيف من الحملات المسعورة ضد المسلمين بقصد استمالتهم ضد ألمانيا النازية فعملت على احتواء المسلمين وممارستهم الدينية باستحداث بعض الإدارات الدينية لإدارة ما كان ولايزال متبقياً من المؤسسات الإسلامية.

وفي عهد خروتشوف (١٩٥٤ - ١٩٦٤م) استعرت حملة جديدة ضد الدين دامت فترة طويلة إذ أقفلت معظم المساجد المفتوحة

فهبط عددها إلى أقل من ٣٠٠ مسجد في عام ١٩٦٥م.

ولكن بعد انزياح وهلاك خروتشوف بدأت العلاقات العدائية بين الروس والمسلمين في الاتحاد تخف رويداً رويداً. وتهدأ بعض الشيء وفي السنوات الأخيرة افتتح بعض المساجد الجديدة. وأعيد بعض المساجد الجديدة والقديمة على السواء وبدأت أحوال المسلمين تنتعش شيئاً فشيئاً. وبدأت أحوال الاتحاد السوفييتي تسير من سيء إلى أسوأ. وانهارت النظرية الاشتراكية وانهار معها الاتحاد السوفييتي واستردت الجمهوريات الإسلامية أنفاسها وحريتها. وبدأت تدخل في طور آخر وتعود سيرتها الأولى.. أيام كانت مستقلة تهنأ بدينها وتسعد بإيمانها..

لقد بدأت ملامح هذا الانفراج باهتمام المنظمات الإسلامية الكبرى بتقوية الصلات ودعم النشاط الثقافي والديني والتعليمي للمسلمين في إطار هذا الانفراج في أحوال المسلمين في الاتحاد السوفييتي.

«الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي (سابقا)»

أعلنت ست جمهوريات إسلامية استقلالها عن الاتحاد السوفييتي بخلاف بعض الجمهوريات الأخرى والتي يعيش فيها المسلمون. وتتمتع هذه الجمهوريات بالحكم الذاتي. وسوف نتكلم هنا عن الجمهوريات الست أولاً ثم نتبعها بالكلام عن الجمهوريات ذات الحكم الذاتي والأغلبية المسلمة.

١ - جمهورية أوزبكستان:

ومساحة هذه الجمهورية حوالي ٤٤٩ر٠٠٠ وعاصمتها مدينة طشقند التاريخية الشهيرة وأهم مدن هذه الجمهورية بخارى وسمرقند. وعدد سكانها ١٩ر٩ مليون نسمة أما التركيب السكاني فهو كالتالي ٦٨٪ أوزبيك، ١٣٪ روس، ٤٪ تتار، ٣٪ كازاك، ٤٪ طاجيك.

وتضم جمهورية أوزبكستان جمهورية تحكم حكماً ذاتياً في الشمال هي جمهورية كاراكالباك.

وضعها الاقتصادي، تنتج ٦٧٪ من القطن في الاتحاد السوفييتي القديم - ونصف انتاج الأرز. وقد أعلنت أوزبكستان استقلالها في ٣١ اغسطس ١٩٩١م.

٢ - جمهورية قازاخستان:

المساحة ٢٧١٧ مليون متر مربع. وتعتبر جمهورية قازاخستان الجمهورية الأولى في المساحة بين الجمهوريات الإسلامية والثانية بعد روسيا - العاصمة: ألما آتا (١ر١ مليون نسمة).

السكان: ٥ر١٦ مليون نسمة.

التركيب السكاني: ٤١٪ روس - ٣٦٪ كازاك ٦٠٪ أوكرانيون - ٢٪ تتار.

الوضع الاقتصادي: تنتج البترول والفحم وثلث إنتاج الاتحاد السوفييتي القديم من القمح وبها صناعات نووية.

وقد أعلنت جمهورية قازخستان استقلالها في اكتوبر ١٩٩٠م ودخلت الكومنولث.

٣ - جمهورية أذربيجان:

المساحة: ٨٠٠ر٨٦ كيلو متر مربع.

العاصمة: باكو (خامس عاصمة في الاتحاد السوفييتي القديم).

السكان: ٧ ملايين نسمة معظمهم أتراك شيعة.

التركيب السكاني: ٧٨٪ أذربيجانيون، ٨٪ روس، ٨٪ أرمن، ٦٪ قوميات اخرى.

الحالة الاقتصادية: تنتج البترول والقطن والحرير والفواكه.

وقد أعلنت أذربيجان استقلالها في ٣٠ اغسطس ١٩٩١م.

٤ - جمهورية طاجيكستان:

المساحة ١٤٣ ألف كيلومتر مربع.

العاصمة: روشابني (٥٩٥ ألف نسمة).

السكان: ١ر٥ مليون نسمة (مسلمون سنة).

التركيب السكاني: ٥٩٪ طاجيك، ٢٣٪ أوزبيك، ١٠٪ روس.

وتضم جمهورية طاجيكستان إقليماً يتمتع بالحكم الذاتي وهو اقليم (جورنا - باراخشان).

الوضع الاقتصادي: تنتج ١١٪ من القطن.

وقد أعلنت جمهورية طاجيكستان استقلالها في ٢٤ اغسطس ١٩٩١م.

٥ - جمهورية تركمانستان:

المساحة: ١٠٠ر٤٨٨ كيلومتر مربع.

العاصمة: اشخاباد (عشق آباد - ٣٩٨ ألف نسمة).

السكان: ٥ر٣ مليون نسمة (مسلمون سنة).

التركيب السكاني: ٦٨٪ تركمان، ١٣٪ روس، ٩٪ أوزبيك، ٣٪ كازاك.

الوضع الاقتصادي: تنتج القطن. وتعد تركمانستان أكبر مستودعات الكبريت في العالم.

وقد أعلنت جمهورية تركمانستان الاستقلال في ٢٧ اكتوبر ١٩٩٠م.

٦ - جمهورية قيرغيزيا:

المساحة: ٥ر١٩٨ ألف كيلومتر مربع.

العاصمة: فرونز ٦١٦ ألف نسمة.

السكان: ٣ر٤ مليون نسمة.

التركيب السكاني: ٤٨ قيرغيز، ٢٦ روس، ١٢٪ أوزبيك.

خلاف ذلك يضم الاتحاد السوفييتي (سابقاً) عشرين جمهورية تتمتع بالحكم الذاتي منها عشر جمهوريات مستقلة إسلامية هي:

١ - جمهورية تتارستان الذاتية الحكم:

ويبلغ عدد المسلمين في هذه الجمهورية نسبة ٥٠٪ من مجموع السكان العام وهو ٤ر٢٥٠ر٠٠٠ نسمة وتنسب هذه الجمهورية إلى التتار والتتار هم الشعب التركي المسلم الوحيد الذي تحول منذ سقوط دولتهم في ١٥٥٢، إلى شعب متفرق اضطر إلى الهروب من وجه النظام الروسي. ويبلغ مجموع التتار في كل أراضي الاتحاد السوفييتي ٦ر٣١٧ر٤٠٠ نسمة.

٢ - جمهورية باشكيريا الذاتية الحكم:

يبلغ عدد سكان جمهورية باشكيريا حوالي ٤ر٣٢٠ر٠٠٠ نسمة. ونسبة المسلمين بينهم ٥٦٪ وعاصمتها أوفا هي مركز الحياة الدينية لمسلمي روسيا الأوروبية منذ القرن الثامن عشر الميلادي.

٣ - جمهورية قباردو - بلغار - الذاتية الحكم:

عدد سكان هذه الجمهورية ٧٦٢ر٠٠٠ نسبة المسلمين بينهم حوالي ٥٥٪ وينتمي المسلمون في هذه الجمهورية إلى قبيلة قبرطاي الشركسية وقبيلة البلغار من أتراك البتجاق.

٤ - جمهورية داغستان - الذاتية الحكم:

يبلغ عدد سكان هذه الجمهورية

٢ر٣٥٠ر٠٠٠ نسمة وتصل نسبة المسلمين بينهم حوالي ٦٠٪ وتوجد معظم مساجد داغستان كلها في القسم الشمالي. أما في جنوب داغستان فلم يبق أي مسجد مفتوح.

٥ – جمهورية الشش – اينغوش – الذاتية الحكم:

عاصمتها غزويني ويبلغ عدد سكانها

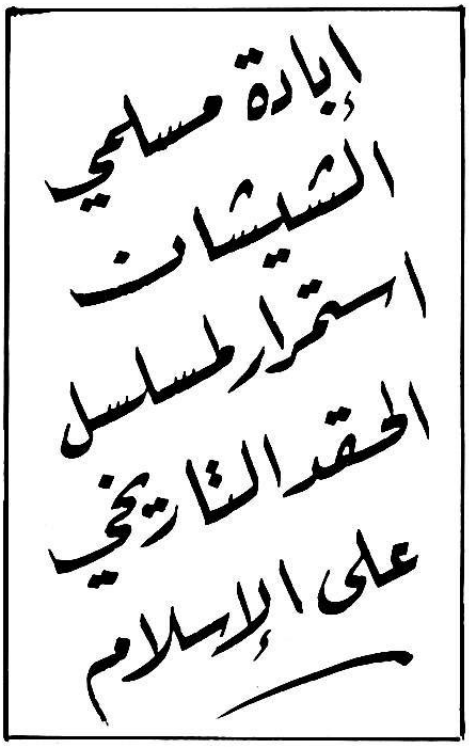

١ر٧٣٥,٠٠٠ نسمة ونسبة المسلمين بينهم حوالي ٦٦٪ ويبلغ عدد تتار القريم بها نسبة كبيرة.

٦ – جمهورية قره قلباقستان الذاتية الحكم:

جمهورية قره عاصمتها نوخوس وبلغ مجموع سكانها ١,٤٥٠,٠٠٠ نسمة ونسبة المسلمين بينهم حوالي ٨٠٪ وقد كانت هذه النسبة في عام ١٩٧٩م حوالي ٩٥٪.

٧ – جمهورية ناخيجيفان الذاتية الحكم:

عاصمتها ناخجوان. وبلغ مجموع سكانها ٢٩٧,٠٠٠ نسمة ونسبة المسلمين بينهم ٩٥٪.

٨ – جمهورية أوستينا الشمالية. الذاتية الحكم:

عاصمتها أورجونيكيرزي وبلغ عدد سكانها ٩١٩,٠٠٠ نسمة. بلغت نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪.

٩ – جمهورية أبخازيا – الذاتية الحكم:

عاصمتها سوخومي على ا لبحر الأسود – تابعة لجمهورية جورجيا. عدد سكانها ٧٥٠,٠٠٠ نسمة. ونسبة المسلمين بينهم حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان.

١٠ – جمهورية أجارستان الذاتية الحكم:

عاصمتها باطومي على البحر الأسود يبلغ عدد السكان حوالي ٤٥٠,٠٠٠ نسمة نسبة المسلمين فيهم حوالي ٤٠٪ من مجموع السكان الاجمالي.

*** اضافة إلى ما سبق:

توجد في الاتحاد السوفييتي السابق مناطق حكمها المسلمون ردحاً من الزمن. وتوجد بها أقليات إسلامية من أهلها الأصليين في الوقت الحاضر منها:

١ – جمهورية جورجيا الاشتراكية:

وعدد سكانها ٤,٥٠٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٩٪ مسلمون ويقدر عددهم ٨٥٥,٠٠٠ نسمة.

٢ – جمهورية أرمينيا:

وعدد سكانها ٣,١٩٠,٠٠٠ نسمة منهم ١٠٪ مسلمون يقدر عددهم ٢٢٠ – ٣٧٦ نسمة.

٣ - إقليم سيبيريا:

ويعتبر أكبر أقاليم العالم مساحة ويبلغ عدد سكانها ٢٥ مليون نسمة منهم ٢٥٪ مسلمون من إجمالي السكان. وتقع في سيبيريا عدة جمهوريات بها أقلية مسلمة تتحول إلى أغلبية في بعض المناطق منها:

١ - جمهورية جوفاش الذاتية الحكم: عدد سكانها ١,٣١٣,٠٠٠ نسمة تقدر نسبة المسلمين بينهم ٥٨٪ وعددهم ٧٥٨,٦٤٠ نسمة تقريبا.

٢ - جمهورية موردافيا الذاتية الحكم: عدد سكانها ٩٨٤,٠٠٠ بلغت نسبة المسلمين حوالي ٥٥٪ عدد المسلمين ٥٤١,٢٠٠ نسمة.

٣ - جمهورية أدموديتا الذاتية الحكم. عدد سكانها ١٥٠,٣٠٠ نسمة تقدر نسبة المسلمين منهم بحوالي ٦٠٪ فعددهم يصل إلى ٨٠٠٪ ٩٠١ نسمة.

٤ - جمهورية ماري الذاتية الحكم. عدد سكانها ٧١٣,٠٠٠ نسمة ويصل نسبة المسلمين إلى ٦٠٪ من إجمالي السكان أي أن عددهم يقدر بنحو ٥٦٤,٨٠٠ نسمة.

٥ - جمهورية شكالوف (أوربنورغ) الذاتية الحكم عدد سكانها يبلغ ٢,٠٠,٠٠٠ نسمة تصل نسبة المسلمين بينهم إلى ٥٣٪ من مجموع سكانها. ويقدر عدد المسلمين منهم بحوالي ١,٠٦٠,٠٠٠ نسمة.

«وماذا عن مستقبل هذه الجمهوريات؟»

منذ إعلان استقلال هذه الجمهوريات، والتحركات السياسية تزداد من حولها وداخلها. والأمريكان يحاولون أن يكون لهم دور. فلقد زارها جيمس بيكر وزير الخارجية.. إن هذه الجمهوريات تعاني من مصاعب عديدة أهمها مصاعب فترة الانتقال. والخلل الحاد بين الأجور والأسعار مع الأخذ بقوانين السوق دفعة واحدة. وأعلنت هذه الجمهوريات استعدادها لإقامة المشروعات المشتركة لتقديم التسهيلات المطلوبة. ويراقب الغرب الموقف وهو يبدي مخاوفه من التزاوج بين الإسلام والتقدم التكنولوجي ومن انتقال العلماء المسلمين من جمهوريات آسيا إلى بعض الدول الإسلامية الأخرى.

تقول مجلة الـ «نيوزويك» الأمريكية، أصبحت اللعبة السياسية في هذه المناطق في غاية الدقة والخطورة فالإسلام الذي يبحث عن هويته يملك الأسلحة النووية.

وأعلن متحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية في عبارات لا تنقصها الصراحة قوله: أنه يتجاذب جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية اتجاهات ويغريها نموذجان أحدهما علماني صديق للغرب وهو تركيا. والآخر راديكالي معاد للغرب وهو النموذج الإيراني. ولن تسمح تركيا ولا السعودية بانتشار هذا النموذج فذلك يمثل تهديداً لهما أكثر مما يهدد الغرب.

فماذا فعلت إيران بعد استقلال هذه الجمهوريات...؟.

سارعت إيران لإقامة سفارات لها في عواصم الجمهوريات الإسلامية المحتلة. وأصبحت إيران طرفاً فعالاً في الأحداث. وسبق وكانت كذلك بالنسبة للقضية الأفغانية.

وأقامت إيران العلاقات مع جمهوريات آسيا الوسطى عندما تبنت مشروعات لأقلمة طريق بري بين (ما آتا) عاصمة كازاخستان وبين طهران لإقامة طريق في إيران لكي تنافس مشروعا آخر يقضي بمد

طريق بحري من المـا آتا حتى بكين بتمويل صيني.

وسعت إيران لاحياء اتفاقية قديمة لمنظمة التعاون الاقتصادي التي تضم كلاً من إيران وباكستان وتركيا. لكي تكون أساساً للتعاون بين هذه الدول الإسلامية والجمهوريات السوفييتية (سابقاً) وضمت بالفعل إلى عضويتها كلاً من أذربيجان وتركمانيا وأوزبكستان وتقضي هذه الاتفاقية بإلغاء الحواجز الجمركية وزيادة التبادل التجاري بين بلدانها.

وقد أشرنا من قبل إلى أحد صور الصراع الذي كان محوره أبجدية اللغات المحلية والذي نشب من جديد بعد الاستقلال. فاللغة المحلية في أذربيجان تنتمي إلى عائلة اللغة التركية. وكانت هذه تكتب بالحروف العربية حتى عام ١٩٢٧م ثم تحولت مع تركيا إلى الحروف اللاتينية. ثم تغيرت من جديد عام ١٩٢٧م إلى الأبجدية الكريكية التي تكتب بها الأبجدية الروسية وتختار بعد الاستقلال الحروف اللاتينية مرة أخرى، وانصرت تركيا في المنافسة مع إيران.

ولا يخفى على أحد ما يحدثه هذا التغير المتلاحق من اضطراب في حياة أذربيجان الثقافية. واتخذت هذه المنافسة منحى آخر لها في جيكستان فبعد أن تغيرت الأبجدية العربية أيام الهيمنة السوفييتية إلى الحروف الكريكية عادت بعد الاستقلال إلى الحروف العربية. وهي ذاتها الأبجدية الفارسية وأحرزت إيران الفوز، وتدفقت الآلات الكاتبة وآلات صف الحروف العربية على دوشامبي العاصمة من إيران.

وما زالت تركيا تسعى إلى إدخال الحروف اللاتينية إلى الجمهوريات الأربع ذات الأصول التركية. تركيا ذاتها عادت إلى المنطقة بعد أن كانت قد وجهت أكبر طعنة لمسلمي آسيا يوم تخلت تركيا عن الخلافة وعن الأبجدية العربية. ورجعت اليوم تمد خطوط طيرانها إلى عواصم هذه الجمهوريات تحمل منتجاتها الاستهلاكية وتحمل أفكار الديمقراطية واقتصاديات السوق باليد الأخرى.

واعترفت باستقلال هذه الجمهوريات يوم ١٦ ديسمبر ١٩٩١م وقدمت مساعدات غذائية، وتركيا حالة خاصة فهي جغرافيا تمتد بين أوروبا وآسيا. وعاشت أزمة هوية بعد زوال الدولة العثمانية يتنازعها الشرق والغرب: آسيا وأوروبا واختارت أن تصبح جزءاً من الغرب. وانضمت إلى حلف الأطلنطي ولم تنجح في الانضمام إلى السوق الأوروبية وقبله (حلف وارسو)، ولم يقبلها الغرب قبولاً تاماً كاملاً. ويدفعها اليوم للعب دور في الشرق الأوسط. وتعود وتخلع القبعة وتلبس العمامة من جديد مما يقوى الاتجاهات الشرقية فيها. ولم يلتفت أحد إلى تداعيات هذا الموقف داخل تركيا ذاتها.

إن الضلع الثالث هو العرب (مثلث القوة الإقليمي). وهم المطلوب منهم أن يقوموا بدور أكثر حيوية وأكثر نشاطاً. بدلاً من هذا التراخي ويكفيهم ضياع ما ضاع.

إن العالم يشهد الكثير من المتغيرات الكثيرة والسريعة المتلاحقة والتي لا يمكن أن تغفل عنها. بل لابد وأن تكون في وسط الحدث. وهذه الجمهوريات لابد أن يمد العرب أيديهم إليها ليأخذوا بها إلى الإسلام من جديد، وليحاولوا أن يكون دورهم أكبر الأدوار.

فالكثير من الدول الإسلامية - إذا ما

استثنينا المملكة السعودية والقلة من الدول ومن بينها مصر.. لم تعترف إلا مؤخراً بالجمهوريات الإسلامية. ولم تقم معها علاقات دبلوماسية ولم تبالِ بفتح سفارات أو قنصليات في الدول الإسلامية نفسها لدراسة الوضع الجديد في هذه الجمهوريات بعد انهيار الاتحاد السوفييتي. وذلك على عكس ما كانت تبديه هذه الدول أيام الماركسية والنظام الشيوعي. وتقيم علاقات وثيقة وتفتح قنصليات وسفارات وتقيم علاقات على مستويات علمية واقتصادية وتعليمية. بل وتعقد مع الاتحاد السوفييتي اتفاقيات استراتيجية بموجبها كان يتدخل الشيوعيون في شئون البلاد. فماذا حدث من هذه الدول التي أُصيبت بخيبة أمل شديدة بعد انهيار الشيوعية وسقطت سفاراتها الجوفاء تشتكي التي كانت تنادي باسم الاشتراكية والثورية: فهل هذه الدول ما برحت تشتكي من الصدمة؟.. أم لم تسلم بالأوضاع الجديدة التي ظهرت بعد سقوط ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي؟.

لقد قامت بعثة مصرية على أعلى مستوى لزيارة تلك الجمهوريات الإسلامية تسعى إلى تقوية العلاقات. وتنسيق السياسات وبحثت مجالات التعاون مع هذه الجمهوريات. ومصر لها مكانة كبيرة في هذه المناطق ويدهش الزائر القادم من مصر لهذه المكانة التي يجد نفسه فيها وهو رصيد لو تعلمونه كبير لمن يحسن التعامل معه فمصر هي حلقة الوصل بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه فمصر هي بلد الأزهر الشريف.

ويلاحظ ان الجيل القديم من الشيوخ وأئمة المساجد من خريجي جامعة الأزهر لديهم حنين إلى أروقة جوامع القاهرة، أما الجيل الذي يليه فهو من خريجي جامعة الأردن ولعله يرجع إلى وجود الشيشان والشركس في كل من جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ووجودهم ضمن سكان الأردن وعلى الجانب الآخر هناك العديد من الدارسين المصريين الذين عاشوا في هذه الجمهوريات ولهم معرفة جيدة ولا يجوز تجاهل خبرتهم.

إن ما وقع من تغيرات في آسيا الوسطى لا يمكن الرجوع عنها وهو يؤكد فرصة كبيرة وإضافة مؤكدة للدول الإسلامية وسيقلب الموازين الدولية. يتوقف مدى الاستفادة منها على عوامل كثيرة أبرزها أن يحقق التكامل لا التنافس والاتفاق لا التنافر بين روافد الحضارة الإسلامية.

العرب – الفرس – الترك.

وأن تعود دول الشرق الإسلامي نماذج تُحتذى وتحقق التوازن المفقود بين التقدم المادي والروحي معاً.

إن الجمهوريات الإسلامية الوسطى آسيوية، لا تكفيها اليوم الروابط الدينية المجردة. لأن شعوبها تتطلع إلى حل مشاكلها الحياتية بعد أن خرجت من كهف الشيوعية.

لهذا علينا نحن المسلمين أن نوجه إليها الاستثمارات الصناعية قبل أن تنجح دول أُخرى غير إسلامية في ابتلاع اللقمة السائغة.